من يخاطب الوحي

كتبه محمد الصغير الجمعة ٢٨ صفر ١٤٤٣

إذا خاطبت أحدهم بآية تنطبق على حاله, قال لك هذه الآية نزلت في كفار قريش, وتلك نزلت في اليهود, وأخرى نزلت في المنافقين, وهكذا يتنصل بزعمه من الوحي, فهو نزل في قوم لا يتعداهم أبدا

إذا كان ممن اعتاد تحريف الكلم عن مواضعه, يقول لك هذه الآية نزلت في الكفار, فكيف توردها فيَّ وأنا مسلم, مع كونها تنطبق عليه تماما.

إن أولئك نتيجة طبيعية لفصل الناس عن الوحي بحجة أنه غير مفهوم, لذلك لم يدركوا من نزل الوحي إليه يخاطبه هو تحديدا وهو الناس كافة, يقول ربنا عز وجل:

﴿ يا أَيُّهَا النّاسُ قَد جاءَكُمُ الرَّسولُ بِالحَقِّ مِن رَبِّكُم فَآمِنوا خَيرًا لَكُم وَإِن تَكفُروا فَإِنَّ لِلَّهِ ما فِي السَّماواتِ وَالأَرضِ وَكانَ اللَّهُ عَليمًا حَكيمًا ﴾

النساء: ١٧٠

وقوله

﴿ يا أَيُّهَا النّاسُ قَد جاءَكُم بُرهانٌ مِن رَبِّكُم وَأَنزَلنا إِلَيكُم نورًا مُبينًا ﴾

النساء: ١٧٤

وقوله

﴿ قُل يا أَيُّهَا النّاسُ إِنّي رَسولُ اللَّهِ إِلَيكُم جَميعًا الَّذي لَهُ مُلكُ السَّماواتِ وَالأَرضِ لا إِلهَ إِلّا هُوَ يُحيي وَيُميتُ فَآمِنوا بِاللَّهِ وَرَسولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الَّذي يُؤمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِماتِهِ وَاتَّبِعوهُ لَعَلَّكُم تَهتَدونَ ﴾

الأعراف: ١٥٨

وقوله

﴿ يا أَيُّهَا النّاسُ قَد جاءَتكُم مَوعِظَةٌ مِن رَبِّكُم وَشِفاءٌ لِما فِي الصُّدورِ وَهُدًى وَرَحمَةٌ لِلمُؤمِنينَ ﴾

يونس: ٥٧

وغيرها من الآيات التي تثبت أن هذا الوحي أنزل إلى الناس كافة حتى تقوم الساعة, ومن ثم فهو يخاطب الجميع, ولا يختص بزمان دون آخر

فهو ليس لجيل رسول الله صلى الله عليه وسلم وحسب, وإنما لجميع الأجيال, يصف حال المؤمنين, ويصف حال الكافرين والمنافقين

فمن انطبق عليه وصف فريق كان منه, ولو أنكر, فمثلا من كان أصم أعمى لا يفقه, ولا ينتفع بالنذارة فهو من الكافرين لقوله تعالى:

﴿ إِنَّ الَّذينَ كَفَروا سَواءٌ عَلَيهِم أَأَنذَرتَهُم أَم لَم تُنذِرهُم لا يُؤمِنونَ۝خَتَمَ اللَّهُ عَلى قُلوبِهِم وَعَلى سَمعِهِم وَعَلى أَبصارِهِم غِشاوَةٌ وَلَهُم عَذابٌ عَظيمٌ ﴾

البقرة: ٦-٧

ولا ينفعه النكران, ومن كان يهتدي بهذا الوحي يتعظ به ويستبشر, فهو من المؤمنين به, لقوله تعالى.

﴿ قُل مَن كانَ عَدُوًّا لِجِبريلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلى قَلبِكَ بِإِذنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِما بَينَ يَدَيهِ وَهُدًى وَبُشرى لِلمُؤمِنينَ ﴾

البقرة: ٩٧

وهكذا, فالوحي قرآنا وسنة لا يقتصر على جيل دون جيل, والذين يريدون الهداية يشعرون به يخاطبهم أنزل إليهم

﴿ قولوا آمَنّا بِاللَّهِ وَما أُنزِلَ إِلَينا وَما أُنزِلَ إِلى إِبراهيمَ وَإِسماعيلَ وَإِسحاقَ وَيَعقوبَ وَالأَسباطِ وَما أوتِيَ موسى وَعيسى وَما أوتِيَ النَّبِيّونَ مِن رَبِّهِم لا نُفَرِّقُ بَينَ أَحَدٍ مِنهُم وَنَحنُ لَهُ مُسلِمونَ ﴾

البقرة: ١٣٦

أما المنسلخين من وحي الله عموما ومنهم من ينسلخ منه بحجة أنه لا يخاطبه, فؤلئك المكذبين بآيات بآيات الله الذين شبههم بالكلب في قوله

‹ وَاتلُ عَلَيهِم نَبَأَ الَّذي آتَيناهُ آياتِنا فَانسَلَخَ مِنها فَأَتبَعَهُ الشَّيطانُ فَكانَ مِنَ الغاوينَ۝وَلَو شِئنا لَرَفَعناهُ بِها وَلكِنَّهُ أَخلَدَ إِلَى الأَرضِ وَاتَّبَعَ هَواهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الكَلبِ إِن تَحمِل عَلَيهِ يَلهَث أَو تَترُكهُ يَلهَث ذلِكَ مَثَلُ القَومِ الَّذينَ كَذَّبوا بِآياتِنا فَاقصُصِ القَصَصَ لَعَلَّهُم يَتَفَكَّرونَ۝ساءَ مَثَلًا القَومُ الَّذينَ كَذَّبوا بِآياتِنا وَأَنفُسَهُم كانوا يَظلِمونَ ›

الأعراف: ١٧٥-١٧٧